

العدالة الروحية في تعليم القديس يوسف الهدوئي

قسطنطين كيناس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

في الوقت الحاضر، حقوق الإنسان مَصانة ومحمية في جميع أنحاء العالم. وهذا بلا ريب تقدم وإنجاز لحضارتنا. لعب اللاهوت المسيحي دورًا مهمًا في الدفاع عن حقوق الإنسان، معلناً أن الإنسان مقدس ومخلوق على صورة الله. وبهذه الطريقة، دخل مفهوم الكرامة الإنسانية إلى الخطاب العام ولم يعد موضع تساؤل. ومع ذلك، على المستوى الشخصي، بسبب التركيز المفرط على حقوق الإنسان، يظهر الارتباك الروحي كخطر كامن، لأن الفردية تتطور أيضاً للغاية. بالنسبة للمؤمنين على وجه الخصوص، فإن الاتجاه نحو تبرير الذات والسعي وراء مصالح المرء لا يفيد. على العكس من ذلك، يمكن أن تساهم إدانة الذات واحترام القريب في تعزيز الحياة المسيحية.

في التعليم المسيحي، حيث يحتل التواضع والمحبة مكانة مركزية، فإن محاولة السيطرة على الآخرين بأي وسيلة متاحة هي بالتأكيد أمر غير ملائم. وبشكل أكثر تحديداً، يؤكد قديسو الكنيسة الأرثوذكسية، الحاضنة لتعاليم المسيح، على قيمة التواضع. يلاحظ القديس باييسوس الأثوسي أن «العدالة الروحية هي أن تشعر بأعباء الآخرين على أنها أعبائك. العدل الإلهي هو أن تفعل أشياء تجلب العزاء للآخرين. بعبارة أخرى، أن تفضل التضحية بحقك لتقديم التعزية والمساعدة لشخص ما». ويؤكد: «أخبر الشخص الآخر أنه على حق. هل تعرف عدد الأشخاص الذين ذهبوا إلى الجحيم لكونهم "على حق"؟ إن الأشخاص الذين يتمتعون بمحبة كبيرة هم فقط من يجمعون الظلم ويتركون الحق للآخرين. المسيح وحده قِيلَ كلَّ الظلم وحمل صليبه من أجلنا».

يكزس القديس يوسف الهدوئي جزءًا كبيرًا من تعاليمه لهذه الفضيلة "الاجتماعية"، وهذا ما يعطي انطباعًا كبيرًا. يمكن العثور على النصائح حول هذا الموضوع مبعثرة في جميع أنحاء رسائله. بكلماته الخاصة: «لا تسع أبدًا إلى أن تكون على حق، لأنك إذا فعلت ذلك، تكون في الخطأ. بدلاً من ذلك، تعلم أن تتحمل بشجاعة ما يسمح به الرب. لا تختلق الأعذار بل فقط قل "إن شاء الله". واعترف بأنك مخطئ دون أن تخطئ. بإدراكك للذات، قل أنك ارتكبت خطأ، لا من أجل الاستهلاك الخارجي، واحتفظ بأحكامك لنفسك. إذا كنت تسعى إلى أن تكون على حق بشأن شيء عاملك فيه جارك بشكل غير عادل، أو أهائك، أو شتمك، أو ضربك، أو اضطهدك، أو تأمر على حياتك، فأنت لا تزال مخطئًا إذا كنت تعتقد أنه السبب في ذلك، أو إذا وجهت اتهامات كيدية ضده. لأنك تطلب منه شيئًا لم يمنحه الله

إياه. إذا فهمت ما أقوله لك، فلن يكون أي شخص آخر مسؤولاً عن الخطأ وأنت وحدك ستكون مسؤولاً عن كل شيء.

وإذا حاولت أن تكون على حق عبر بعض الوسائل الأخرى، فستكون مخطئاً دائماً ولذلك سيكون من الضروري أن تأتي النعمة وتذهب قبل أن تجد الراحة في روحك. لأن للناس الحق في الحصول على نفس القدر من النعمة التي اجتذبتهم من خلال تحمل التجارب بكل سرور، وهم تحملوا عبء قريبتهم دون شكوى. مهما حدث، لن أعبر عن إرادتي، لن أعطي رأياً، لن أشاجر. إذا كان هناك شيء منحرف، أياً كان الأمر الذي أوجبني القيام به، فهو كالصليب. سأفعل ذلك بدون سؤال وأدع الله يرى ما في قلبي ويخفف الحرب ضدي. لا تحاول الإشارة إلى أخطاء الآخرين. لا تسع إلى أن تكون على حق، بل اسكت حتى الموت وتغلب على التجربة والاضطراب. احترم الذين يعضون ألسنتهم حتى أن اللعاب في أفواههم يتحول إلى دم. وعليك أن تبجلهم وتكرمهم كشهداء ومعترفين. هؤلاء هم الأشخاص الذين أحبهم، هؤلاء هم الأشخاص الذين أحبهم ويجب أن أبذل كل قطرة دم من أجلهم كل يوم، بمحبة المسيح. إنك تراهم يتحلون بالصبر ويفضلون ألف ميتة بدلاً من ترك كلمة باردة تعبر شفاههم.

حاول كل يوم أن تتعلم نقاط ضعفك بطريقة محسوسة وأن تتحلى بالصبر مع من يخطئون. لا تدن الناس إذا أخطأوا، بل تحملهم. لنفترض، على سبيل المثال، أنك في الكنيسة وأنتك منزعج من حقيقة أن شخصاً آخر يرتل كل مرة يحين دورك. فقط قل لنفسك أنه من الأفضل أن يكونوا مرتاحين وليس أنت. لنفرض أن الفكرة استمرت: لكن لماذا؟ هذا فقط صحيح وعادل. قل: "أيها الشيطان! اتركني وحدي"، واهتمّ بصلاة يسوع. الشيطان الذي يزعجك سوف يذهب بعيداً وجاهزاً للانفجار من الغضب...

إذا كنت تؤدي مهام نسكك اليومية بصبر، ففي كل مرة تجبر نفسك على تحمل كلمة باردة أو توبيخاً أو سخرية، فإنك تصير معترفاً. في كل مرة تصبر تنال تاجاً ويُعتبر استشهاده يومياً أمام الله.

Source: Η πνευματική δικαιοσύνη σύμφωνα με τη διδασκαλία του αγίου Ιωσήφ του Ηουχαστή.
<http://docplayer.gr/200497897-l-pneymatiki-dikaiosyni-symfona-me-ti-didaskalia-toy-agiou-iosif-toy-isyhasti.html>